DATE LABEL

Call No. .... Date 12.4.5.

Account No. 10299

J. & K. UNIVERSITY LIBRARY

This book should be returned on or before the last stamped date. An overdue charges of 6 nP. will be levied for each day. The book kept beyond that day.

فلسفة الأخلاق

تأليف

نابغة كتاب العرب والفرس

عبد الله بن المقفع

الطبعة الاولى

طبع على نفقة

سنة ١٩٣٦

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة الترقي بأول شارع قوالة بمصر

ST 01
RO
J & KASHMIR UNIVERSITY LIBRARY
No. 10299
Date 12-4-55
SRINAGAR
ALLAMA IQBAL LIBRARY
10299

cat
ع
۱۷۰
ا ہ ف

مقدمة الكتاب

لحضرة الفاضل الاديب — الامير شكيب ارسلان

الكاتب العربي المشهور

بسم الله الرحمن الرحيم

ابدأ بحمد الله المنشيء البديع على مزيد نواله واشفع بالصلاة على رسول الله السيد الشفيع وعلى صحبه وآله (وبعد) فقد رأينا اخواننا طلاب العربية اعظم ما كانوا عليها منذ امد اقبالا واشد ما عانوا في تحرى فوائدها ايجافا وايغالا واحث مما وجدناهم في سبيلها اجتهادا وابصر ما عهدناه في مظان تحصيلها ارتيادا رأينا الجم الغفير منهم والحق يقال دائبا في اصلاح لغته وتثقيف ملكته حريصا على تقويم لسانه واحكام بيانه متوخيا طرق الانطباع على بليغ الكلام منتهجا خطط الوصول الى الطبقة العاليه من القول مما يجب ان يلتمس في كتب السلف وينشد في منشآت الاولين من اهل هذا اللسان السابقين في حلبة البيان بالاستكثار من حفظ تراكيبهم وتحدى اساليبهم ومحاكاة

نغمتهم والاحتذاء على امثلتهم حتي تتحصل للمعانى منهم ملة راسخة يصدر عنها في انشائه فلا يكون من شأنه ان يعلو ويسفل ويغلو ويبذل ولكنه يجرى على نمط متناسب ويفرغ فى قالب واحد وكانت هذه الغايه وتلك العناية بصناعة الانشاء عموما وبهذا النوع المرسل منه خصوصا أجدر ما تصرف نحوه الهمة وافضل ما تثنى اليه الازمة لا سيما في هذا العصر الذي ازدحمت فيه المعانى وتعددت المناجى وتضاعفت المقاصد واختلفت المواضيع وتوسع فيه من امكنه القول ماكان من قبل حرجا واوجد فيه ما لم يكن موجودا واخرج ما لم يكن مخرجا وهو الذى اشتبكت فيه الوسائل واتت العلائق وتطالعت العقول وتكاشفت الالباب وتشارفت المعارف المتباينه وتشاركت المدارك المتنابذه حتى أن الامم امة واحد ه وكان الامة فرد واحد في تناول البعيد وتقيد الشارد والاحاطة كالمجهول فتداعت من اجل ذلك المعانى من كل جانب بالسيل المتدفق والعارض المغدق على رؤوس الكتاب لا

تجد منصرفا الا من صنابير الاقلام وأنابيب اليراع وقد كان مكان الانشاء كما كان على ادائه من العناية حقه وتوفيره من المزاولة قسطه والزمان على غير هذا الوضع ونطاق العلوم اضيق ومقاصد الكلام ولا ريب في كثير اقل ومواطن التعبير تكاد تكون محصورة في جم من المواضيع فكيف بالكاتبين والمعربين من اهل هذه الايام وقد لزمهم من ادوات الكتابة بعض ما لم يلزم غيرهم واعترضهم كثير من عقباتها التي لم تعترض من قبلهم ومست بهم الحاجة الى استغراق سيل هذه المعانى بمادة غزيرة وعدة متينه من الالفاظ على نسق محمود من التراكيب فان المعانى اذا كثرت على الالفاظ ضاق دونها ذرع الكتبه فذهبوا فى ابرازها الى الخلق وعرضها على الاذهان مذاهب الضعف ومسالك السخف فاقسووا لغتهم واعجموا منطقتهم واذا كثرت الالفاظ على المعانى بين قوم سادت بينهم الصناعة اللفظية ولها المشتغلون بنوع من الحفظ لم يقصد لذاته فكان العى والحصر احسن منه فكانت البغية كل البغية في

تناسب القوتين وتعادل المتنين وتضارع المادتين حتى يتوفر لكل معنى نديده من اللفظ ويتسنى بازاء كل مغزي ضريبه من السبك ويودع كل خاطر قالبه الاليق ويلبس كل فكر ثوبه الالبق وهي غاية من ابعد البعيد وعقبة عنود لدي التصعيد ولكنها رأس النصح في خدمة اللغة واول الواجب في حق اللسان وانما يتذرع الى تسهيلها وتمهيد طرق تحصيلها بادمان النظر وادامة السهر فى التطبع على بلاغة الاولين وتقليد مناهج السالفين وكذلك كان اسنى ما تخدم به هذه اللغة الشريفة لهذا العهد اثارة دفائن كنوزها ونفض كنائن رموزها واستخراج جواهرها التى احرز منها النزر اليسير وبقي الجم الكثير وانه لو لم يكن بين ايدينا وأيم الله كلامه القديم وحديث رسوله عليه التحية والتسليم وانهما بهذا اللسان لحكمنا بان هذه العربيه لم تزل بكرا لم تفترع وسرا لم يخترع لقلة ما وصل الى ايدي طلابها من نفائسها وكثرة ما احتجب عن اعين خطابها من عرائسها فان اكثر مشاهير الكتاب ومصاقع الخطباء من اهل المئات الاول بعد الهجرة لم تظفر

الايدى بكلامهم الا قليلا منه منثورا في بعض التآليف والمجاميع متفرقا منقطعا بعضه عن بعض مع انهم العمدة في هذه الغاية والقدوة فى هذا السبيل والناس في الادب انما تلتقط من فضلات مآدبهم وتترشف من اسار مشاربهم ولذلك جعلت من بعض همى مع عدم اتساع البال ونصب النفس لهذه الاشغال التنقيب عن بعض آثار القوم اهل هذا الشأو البعيد والشأن الخطير حتي ظفرت وانا في هذه الايام بدار الخلافة العظمي بجمله من الكتب منها هذه الدرة اليتيمه لعبد الله بن المقفع المنشىء المشهور معرب كتاب كليله ودمنه فاخترت عموم الفائده بطبعها لانها مع صغر حجمها قد جمعت بين اعلى طبقات البلاغة واسمي درجات الحكمة وتضمنت من الحكم البوالغ والحجج الدوامغ مالم يتضمنه كتاب قبلها ولا بعدها فكانت حرية بان يتخذها الكاتب منتجع لبه وحماطة قلبه وان يجعلها دستور انشائه ومثال احتذائه وحقيقة بان يتخذها الانسان نصب ناظره وشغل خاطره يهتدي بنور حكمها في ظلم المعاضل ومدلهمات المشاكل

ويتدرب عما اوضحته من سبل التصرف الحكيمة ونهجته من جواد الكمال القويمة على امتزاج لحكمتها بقواعد الكون ودخولها تحب طور الطوق وما انا محدث عن بن المقفع وهورب هذا الامر وواسطة هذا العقد وفي شهرته مايغنى عن الافاضة والاشاده وفي الاطلاع على هذه الرسالة ما يكفى الشاهد مؤنة الشهادة ولعمرى لو استفرغ مجتهد وسعه فى اهداء ارباب الاقلام طرفة تعجبهم فقصاراه نشر كلام مثل ابن المقفع اذ لا يجد في هذا الباب اجزل لهم نفعا ولا اسنى لديهم وقعا ولذلك كان لاشبهة عندى في ان ما توخيه من الفائدة يلاقى اقبال الطلاب ويقتضي ثناءهم بحسن الانتخاب فقد يكون من فضل المرء في حسن انتقائه ما يربو على فضله في حسن انشائه اذ كان من الاختيار ما هو انطق بالفضل وادل على العقل على حد قول القائل

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

ترجمة ابن المقفع

هذا ما اخترنا تلخيصه عن وفيات الاعيان في امر صاحب هذه الرسالة فهو عبدالله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة صاحب الرسائل البديعة وهو من اهل فارس وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن على عم السفاح والمنصور العباسيين ثم كتب له واختص به ومن كلامه (شربت الخطب ريا ولم اضبط لها رويا ففاضت ثم فاضت فلا هى نظاماً وليست غيرها كلاماً) قال الهيثم بن عدى جاء ابن المقفع الى عيسى بن على فقال له قد دخل الاسلام فى قلبى واريد ان اسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر طعام موسى عشية فجلس ابن المقفع يا كل ويزمزم[1]

---

(1) الزمزمه تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ولكنه صوت تديره في خياشمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض (القاموس)

على عادة المجوس فقال له اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال كرهت ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يده وكان ابن المقفع مع فضله يتهم بالزندقة فحكي الجاحظ ان ابن المقفع ومطيع ابن اياس ويحى ابن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم كيف نسى الجاحظ نفسه وقال الاصمعى قيل لابن المقفع من أدبك قال نفسى اذا رأيت من غيرى حسنا اتيته وان رأيت قبيحا ابيته واجتمع ابن المقفع بالخليل ابن احمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيته قال علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل فقال عقله اكثر من علمه ويقال ان ابن المقفع هو الذى وضع كتاب كليله ودمنه وقيل انه لم يضعه وانما كان بالفارسية فنقله الى العربية وان الكلام الذى في أول هذا الكتاب من كلامه وقال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيرا من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف فى فنها مثلها هذا وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معوية ابن يزيد بن الملهب بن ابى صفرة امير البصرة وينال من عرضه

وكثر ذلك منه وذكر الهيثم بن عدى انه كان يستخف بسفيان كثيرا وكان انف سفيان كبيرا فكان دخل عليه فقال السلام عليكما يعني نفسه وانفه وقال له يوما ما تقول في شخص مات وخلف زوجا وزوجة يسخر به وقال سفيان يوما ما ندمت على سكوت قط فقال ابن المقفع الخرس زين لك فكيف تندم عليه فكان سفيان هذا شديد الحنق عليه يترقب فرصة لقتله وكان عبد الله بن على العباسي قد خرج على بن اخيه المنصور فارسل اليه المنصور جيشا مقدمه ابو مسلم الخرسانى فانتصر عليه وهرب عبد الله بن على الى اخويه سليمان وعيسى فاستتر عندهما فتوسطا له عند المنصور فقبل شفاعتهما فيه واتفقوا على ان يكتب له امانا وهذه الواقعة مشهورة في التواريخ فلما ان اتيا البصرة قالا لعبد الله بن المقفع اكتب انت وبالغ في التأكيد كيلا يقتله المنصور فكتب ابن المقفع الامان وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنسـاؤه طوالق ودابه حبس وعبيده احرار

والمسلمون في حل من بيعه وكان ابن المقفع يتنوع في الشروط فلما وقف عليه المنصور عظم ذلك عليه وقال من كتب هذا فقالوا رجل يقال له عبد الله بن المقفع يكتب لاعمامك فكتب الى سفيان متولى البصرة المتقدم ذكره يأمره بقتله وكان صدر سفيان موغرا منه فقتله شر قتلة واختلفت الروايات في كيفية قتله فقيل انه امر بتنور فسجر ثم امر به فقطعت اطرافه عضوا عضوا وهو يلقيها فى التنور وهو ينظر حتي اتى على جميع جسده وقيل القاه في بئر الخرج وردم عليه الحجاره وقيل بل ادخله حماما واغلق عليه الباب فاختنق وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل انه دخل دار سفيان سليما ولم يخرج منها فخاصماه الى المنصور واحضراه اليه مقيدا وحضروا الشهود الذين شهدوا وقد دخل داره ولم يخرج فاقاموا الشهادة عند المنصور فقال لهم المنصور انا انظر في هذا الامر ثم قال ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه وخاطبكم ماترونى فاعلا بكم فاقتلكم بسفيان فرجعوا كلهم عن الشهادة وأضرب

عيسى وسليمان عن ذكره وعلموا ان قتله كان يرضى المنصور
ويقال انه عاش ستا وثلثين سنة وكان قتله سنة اسنتين
واربعين ومئة وقيل سنة خمس واربعين سنه وقيل ان سليمان
بن على العباسى توفى سنة اثنتين واربعين وعلى هذا تكون
الرواية الاولى هى الصحيحة ولابن المقفع شعر مذكور في
كتاب الحماسة والمقفع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء
وفتحها واسمه دادوية وكان الحجاج ولاه خراج فارس فمد
يده الى الاموال فعذبة فتقفعت يداه فسمى بذلك وقيل بل
ولاه خالد بن عبد الله القسرى وعذبه يوسف بن عبد الله
بن عمر الثقفي لما تولى العراق بعد خالد وقال بن مكى في
كتات تثقيف اللسان ويقولون ابن المقفع والصواب بكسر
الفاء لانه كان يعمل القفاع ويبيعها والقفاع بكسر القاف
جمع قفعه بفتح القاف شيء يعمل من الخوص شبيه بالزنبيل
لكنه بغير عروة والقول الاول هو المشهور بين العلماء
(انتهى بتصرف)

شكيب ارسلان

الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيا محمد وآله الطاهرين
قال عبد الله بن المقفع وجدنا الناس قبلنا كانوا اعظم اجساداً
واوفر مع اجسادهم احلاماً واشد قوة واحسن بقوتهم للامور
اتقانا واطول اعماراً وافضل باعمارهم للاشياء اختباراً فكان
صاحب الدين منهم ابلغ في امر الدين منا وكان صاحب
الدنيا على مثل ذلك من البلاغة والفضل ووجدناهم لم يرضوا
بما فازوا به من الفضل حتى اشركونا معهم فيما ادركوا من
علم الأولى والآخرة فكتبوا به مؤونة التجارب والفطن
وبلغ من اهتمامهم بذلك ان الرجل منهم كان يفتح له الباب
من العلم والكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول
فيكتبه على الصخور مبادرة منه للاجل وكراهية . لان

يسقط ذلك على من بعده (١) فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على ولده الرحيم بهم الذى يجمع لهم الاموال والعقد (٢) ارادة ان لا تكون عليهم مؤونه في الطلب وخشية عجزهم ان هم طلبوا فمنتهي علم عالمنا في هذا الزمان ان يأخذ من علمهم وغاية احسان محسننا ان يقتدى بسيرهم واحسن ما يصيب من الحديث محدثنا ان ينظر في كتبهم فيكون كأنه اياهم يحاور ومنهم يستمع غير ان الذى نجد في كتبهم هو المنتحل في آرأئهم والمنتقى من احاديثهم ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد واصف بليغ في صفة له مقالا لم يسبقوه اليه لا فى تعظيم لله عز وجل وترغيب فيما عنده ولا في تصغير الدنيا وتزهيد فيها ولا في تحرير صنوف العلم وتقسيم اقسامه وتجزئة اجزائها وتوضيح سبلها وتبيين مآخذها وفى وجوه الادب وضروب الاخلاق فلم يبق في جليل من الامر

---

(١) أى يفوته واصله من سقط من كل على الاخر بان يتحدث الواحد وينصت الآخر (٢) جمع عقدة وهى العقار الذى اعتقده صاحبه ملكا

لقائل بعدهم مقال وقد بقيت أشياء من لطائف الامور فيها مواضع لصغار الفطن مشتقة من جسام حكم الاولين وقولهم ومن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من ابواب الادب التي يحتاج اليها الناس

ياطالب الادب أعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول فلا يكون دركهم دركا ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول وان اصاب بعد احراز الاصول فهو افضل

فاصل الامر في الدين ان تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الكبائر وتؤدى الفريضة فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن يعلم أنه ان حرمه هلك ثم ان قدرت ان تجاوز ذلك الى التفقه فى الدين والعبادة فهو افضل وأكمل * وأصل الامر في اصلاح الجسد الا تحمل عليه من المآكل والمشارب والباه الا خفافاً وان قدرت على ان تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو أفضل واصل الامر في البأس الا تحدث نفسك بالادبار واصحابك

مقبلون على عدوهم ثم ان قدرت ان تكون أول حامل وآخر منصرف من غير تضييع للحذر فهو أفضل * وأصل الامر في الجود الا تضن بالحقوق عن أهلها ثم ان قدرت ان تزيد الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل اذ وصل الامر في الـكلام ان تسلم من السقط بالتحفظ ثم ان قدرت على بارع الصواب فهو افضل واصل الامر في المعيشة ان لا تني عن طلب الحلال وان تحسن التقدير لما تفيد وما تنفقاً ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطرا احوجهم الى التقدير والملوك احوج الى التقدير من السوقة لان السوقة قد يعيش بغير مال والملوك لا قوام لهم الا بالمال ثم ان قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل

وانا واعظك في اشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقا ان تعلمها وان لم تخبر عنها ولكن احببت ان اقدم اليك فيها قولا لتروض نفسك على محاسنها قبل ان تجري على عادة مساويها فان

الانسان قد تبتدر اليـه في شبيبته المساوى وقد يغلب عليه ما يبدر منها

ان ابتليت بالامارة فتعوذ بالعلماء واعـلم ان مـن العجب ان يبتلى الرجل بها فيريد ان ينتقص من ساعات دعته وشهوته وانما الرأى له والحق عليه ان يأخذلعمله من جميع شغله فيأخذ من طعامه وشرابه ونومه وحديثه ولهوه ونساؤه فأذا تقلدت شيئا من الاعمال فكن فيه احد رجلين امـا رجلا مغتبطا به فحافظ عليه مخافة ان يزول عنه واما رجلا كارها فالـكاره عامل فى سخرة امـا للمملوك ان كانوا هم سلطوه واما لله ان كان ليس فوقه غيره واياك اذا كنت واليا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يتقحمون عليك منهـا وبابا يفتتحونك منه وغيبة يغتـابونك بهـا ويضحكون منها ـ اعـلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذى يحمله على ردة فان الراد له محمود والقابل له معيب لتكن حاجتك في الولاية

الى ثلاثة خصال رضى ربك ورضى سلطان ان كان فوقك ورضي صالح من تلى عليه ولا عليك ان تلهو عن المال والذكر فسيأتيك منهما ما يكفي ويطيب واجعل الخصال الثلاث بمكان ما لا بد لك منه والمال والذكر بمكان ما انت واجد منه بداً

اعرف اهل الدين والمروءة فى كل كورة وقرية وقبيلة فيكونوا هم اخوانك واعوانك وبطانتك وثقاتك ولا يقذفن في روعك انك ان استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأى غيرك فانك لست تريد الرأى للافتخار به ولكن تريد للانتفاع به ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل ان يقال لا يتفرد برأيه دون استشارة ذوى الرأى

انك ان تلتمس رضى جميع الناس تلتمس ما لا يدرك وكيف يتفق لك رأى المختلفتين وما حاجتك الى رضى من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك بالتماس رضى الاخيار منهم وذوى العقل فانك متي

تصب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

لا تمكن اهل البلاء من التذلل ولا تمكن من سواهم من الاجتراء عليهم والعيب لهم (١) لتعرف رعيتك أبوابك التي لا ينال ما عندك من الخير الا بها والابواب التى لا يخافك خائف الا من قبلها احرص الحرص كله على ان تكون خبير بامور عمالك فان المسيء يفرق من خبرتك قبل ان تصيبة عقوبتك وان المحسن يستبشر بعملك قبل ان يأتيه معروفك

ليعرف الناس فيما يعرفون من اخلاقك انك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك ادوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

عود نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم ولا تسهلن سبيل ذلك الا لاهل العقل والسن والمروءة لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه او يستخف له شان لا تتركن مباشرة جميع امرك

---

(١) يقال عاب له كعابه

فيعود شأنك صغيرا ولاتلزم نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعا اعلم أن رأيك لايتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لايغني الناس كلهم فاختص به ذوى الحقوق ✿ وان كرامتك لاتطيق العامة فتوج بها اهل الفضائل * وان ليلك ونهارك لايستوعبان حاجاتك وان دأبت فيهما وانه ليس لك الى ادائهما سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحسن قسمتهما بين دعتك وعملك * واعلم انك ماشغلت من رأيك بغير المهم ازري بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضربك في العجز عن اهل الفضل وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازري بك في الحاجة

اعلم ان من الناس ناسا كثيراً يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب ان يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لاذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الادون ذلك ثم يبلغ به الرضى اذا رضى ان يتبرع بالامر

ذى الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطى من لم يكن اعطاه ويكرم من لاحق له ولامودة فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالا من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بهذه الصفة من يلتبس بعقله او يتخبطه المس ان يعاقب في غضبه غير من اغضبه ويحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزا في صفته

اعلم ان الملك ثلاثة ملك دين وملك حزم وملك هوي فاما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينهم وكان دينهم هو الذى يعطيهم مالهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الاقرار والتسليم واما ملك الحزم فانه يقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والتسخط ولن يضر طعن الذليل مع حزم القوى واما ملك الهوي فلعب ساعة ودمار دهر

اذا كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت امر الاستقام بغير رأى واعواناً جزوا بغير نيل وعملا انجح بغير حزم

فلا يغرنك ذلك فلاتستنم اليه فان الامر الجديد مما ان تكون له مهابة في انفس اقوام وحلاوة في انفس آخرين فيعين قوم بانفسهم ويعين قوم بما قبلهم ويستتب بذلك الامر غير طويل ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها فما كان من الامر بنى على غير اركان وثيقة ولا عاد محكم ان يتداعي او شك ويتصدع

لاتكونن نزر الكلام والسلام ولا تفرطن بالهشاشة والبشاشة فان احداهما من الكبر والاخرى من السخف

اذا كنت لاتضبط امرك ولاتصول على عدوك الابقوم لست منهم على ثقة من رأى ولا حفاظ من نية فلا تنفعك نافعة حتى تحولهم ان استطعت الى الرأى والادب الذى بمثله تكون الثقة او تستبدل بهم ان لم تستطع نقلهم الى ماتريد ولاتغرنك قوتك بهم وانما انت في ذلك كراكب الاسد الذى يهابه من نظر اليه وهو لمركبه اهيب

ليس للملك ان يغضب لان القدرة من وراء حاجته وليس له ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على غير ما يريد وليس له ان يبخل لانه اقل الناس عذرا فى

تخوف الفقر وليس له ان يكون حقودا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس فليتق ان يكون حلافا واحق الناس باتقاء الايمان الملوك فانما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه واما عي بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوا ووصلا واما تهمه قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لايقبل منه قوله الا جهد اليمين وأما عبث فى القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير

لا عيب على الملك في تعيشه وتنعمه اذا تعهد الجسيم من امره وفوض ما دون ذلك الى الكفاة

كل الناس حقيق حين ينظر في امر الناس ان يتهم نظره بعين الرينة وقلبه بعين المقت فانهما يريان الجور و يحملان على الباطل ويقبحان الحسن و يحسنان القبيح واحق الناس باتهام عين الريبة وعين المقت الملك الذى ما وقع في قلبه ربما مع ما يقيض له من تزيين القرناء والوزراء واحق الناس باجبار نفسه على العدل في النظر والقول والفعل الوالى الذى ما

قال اوفعل كان امرا نافذا غير مردود

ليعلم الوالى ان الناس يصفون الولاة بسوء العهد ونسيان الود فليكابد نقض قولهم وليبطل عن نفسه وعن الولاة صفات السوء التى يوصفون بها.

ليتفقد الوالى فيما يتفقد من امور الرعيه فاقة الاحرار منهم فليعمل فى سدها وطغيان السفلة منهم فليقمعه وليستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع لا يحسدن الوالى من دونه فانه في ذلك اقل عذراً من السوقة التي انما تحسد من فوقها وكل لا عذر له * لا يلومن الوالى على الزلة من ليس بمتهم على الحرص على رضاه الا لوم ادب وتقويم ولا يعدلن بالمجتهد في رضاه الا البصير بما يأتى احدا فانهما اذا اجتمعا فى الوزير او الصاحب انام الوالى واستراح وجلبت اليه حاجاته وان هدأ عنها وعمل فيما يهمه وان غفل عنه * ولا يولعن الوالى بسوء الظن لقول الناس وليجعل لحسن الظن من نفسه نصيبا موفورا يروح به عن قلبه ويصدر به اعماله * لا يضيعن الوالى التثبت عند ما يقول

وعندما يعطى وعند ما يفعل فان الرجوع عن الصمت احسن من الرجوع عن الكلام وان العطية بعد المنع اجمل من المنع بعد الاعطاء وان الاقدام على العمل بعد التأنى فيه احسن من الامساك ع.ه بعد الاقدام عليه وكل الناس محتاج الى التثبيت واحوجهم اليه ملوكهم الذين ليس لقولهم وفعلهم دافع وليس عليهم مستحث ✡ ليعلم الوالى ان الناس على رأيه الا من لا يال له منهم فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فيستكسد بذلك الجور والدناءة في آفاق الارض

جميع ما يحتاج اليه الوالى رأيان رأى يقوى سلطانه ورأي يزينه في الناس ورأى القوة احقها بالبداية واولاهما بالاثرة ورأى التزين احضرهما حلاوة واكثرهما اعوانا مع ان القوة من الزينة والزينة من القوة لكن الامر ينسب الى اعظمه

ان شغلت بصحبة الملوك فعليك بطول الرابطه في غير معانيه ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاونا ✻ اذ رأيت أحدهم يجعلك اخا فاجعله أبا ثم ان زادك

فزده ✿ لذ نزلت من ذى منزلة او سلطان فلا ترين ان سلطانه زادك له توقيرا واجلالا من غير ان يزيدك ودا ولا نصحا وانك ترى حقا له التوفير والاجلال و كن فى مداراته والرفق به كالمؤتنف (١) ما قبله ولا تقدر الامر بينك وبينه على ما كنت تعرف من اخلاقه فان الاخلاق مستحيلة مع الملك وربما رأينا الرجل المدل على ذى السلطان بقدمه قد أضر به قدمه ✱ لا تعتذرن الا الى من يحسب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك . لا تحدثن الا من يرى حديثك مغنما مالم يغلبك الاخبار . اذا غرست من المعروف غرسا وانفقت عليه نفقة فلا تضنن بالنفقة في ربية ماغرست فتذهب النفقة الاولى ضياعا . اذا اعتذر اليك معتذر فتلقه بوجه مشرق طليق الا ان يكون ممن قطيعته غنيمة

اعلم ان اخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا زينة في الرخاء وعدة في الشدة ومعونة على المعاش والمعاد فلا

---

(١) ائتنف واستأنف واحد

تفرطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والاسباب اليهم. اعلم انك واجد رغبتك من الاخاء عند اقوام قد حالت بينك وبينهم بعض الابهة التى قد تعتري اهل المروآت فتحجز منهم كثيرا ممن يرغب في امثالهم فاذا رأيت احداً من اولئك قد عثر به انزمان فاقله. اذا عرفت نفسك من الوالى بمنزلة الثقة فاعزا عنه كلام الملق ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما عظمه ووقره. ان استطعت الا تصحب من صحبت من الولاة الا على شعبة من قرابة او مودة فافعل فان اخطاك ذلك فاعلم انك تعمل على عمل السخ[illegible] وان استطعت ان تجعل صحبتك لمن عرفت منهم بصالح مو[illegible] قبل ولايته فافعل ان الوالى لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته فاما اذا ولى فكل الناس يلقاه بالتزين والتصنع وكلهم يحتال لان يثنى عليه عنده بما ليس فيه غير ان الارذال والأنذال هم اشد لذلك تصنعا وعليه مكابرة وفيه تمحلا فلا يمتنع الوالى وان كان بليغ الرأى والنظر من ان ينزل عنده كثير من الاشرار

بمنزلة الاخيار و كثير من الخونة بمنزلة الامناء وكثير من الغدرة بمنزلة الاوفياء ويغطي عليه امر كثير من اهل الفضل الذين يصونون انفسهم عن التمحل و التصنع. لايعرفنك الولاة بالهوى في بلدة من البلدان ولا قبيلة من القبائل فيوشك ان تحتاج فيها الى حكاية اومشاهدة فتتهم في ذلك واذا اردت ان يقبل قولك فصحح رأيك ولاتشعرنه بشيء من الهوي فان الرأى يقبله منك العدو والهوى يرده به عليك الوالد واحق من احترست من ان يظن بك خلط الرأى بالهوى الولاة فانها خديعة وخيانة و كفر ان ابتليت بصحبة وال لايريد صلاح رعية فاعلم انك قدخيرت بين خلتين ليس بينهما خيار اماميلك مع الوالى على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالى وهذاهلاك الدنيا ولاحيلة لك الا بالموت او الهرب. واعلم انه لاينبغي لك وان كان الوالى غير مرضى بالسير اذا علقت حبالك بحبله الا المحافظة عليه الا ان تجد الى الفراق الجميل سبيلا ❊ تبصر مافي الوالى من الاخلاق التى تحب والتى تكره وما هو عليه من الرأى الذى يرضي له والذى لا يرضى ثم لاتكابره بالتحويل له عما

يحب ويكره الى ما تحب وتكره فان هذه رياضة صعبة تحمل على التنائى والقلى * واعلم انك قلما تقدر على رد رجل عن طريقته التي هو عليها بالمكابره والمناقضة وان لم يكن يجمح عن السلطة ولكنك تقدر ان تعينه على احسن رأيه وتسبب له منه وتقويه فيه فاذا قويت منه المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوى واذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك هو الذى يبصره الخطأ بالطف من تبصيرك واعدل من حكمك في نفسه فان الصواب يريد بعضه بعضا ويدعو بعضه الى بعض فاذا كانت له مكانة اقتلع الخطاء فاحفظ هذا الباب واحكمه * ولا يكونن طلبك ما عند الوالى بالمسألة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له واستأن وان طالت الاناءة فانك اذا استحققته اتاك من غير طلب وان لم تستبطئه كان اعجل له لا تخبرن الوالى ان لك عليه حقا وانك تعتد عليه ببلاء وان استطعت ان ينسى حقك وبلاءك فافعل * وليكن ما تذكره من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد والا يزال ينظر منك الى آخر يذكره

اول بلائك ✩ واعلم ان ولى الامر اذا انقطع عنه الآخر نسى الاول وان الكثير من اولئك ارحامهم مقطوعة وحبالهم مصرومة الاعمن رضوا عنه واغنى عنهم في يومهم وساعتهم * اياك ان يقع في قلبك تعتب على الوالى اواستزادة له فانه ان آنست ان يقع في قلبك بدا في وجهك ان كنت حليما وبدا على لسانك ان كنت سفيها وان لم يزد ذلك على ان يظهر في وجهك لآمن الناس عندك فلا تأمنن ان يظهر ذلك للوالى فان الناس اليه بعورات الاخوان سراع فاذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه هو اسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية واشرف بك على الهلاك وصرت تعرف امرك مستدبرا وتلتمس مرضاته مستصعبا . اعلم ان اكثر الناس عدوا مجاهرا جريئا واشيا وزير السلطان ذو المكانة عنده لانه منفوس عليه بما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد غير انه يجترأ عليه ولا يجترأ على ذلك لان من محاسديه احباء السلطان الذين يشاركونه في المداخل و المنازل وهم وغيرهم من عدوه الذين هم حضاره وليسوا كعدو من فوقه النائي عنه

المكتتم منه وهم لا ينقطع طمعهم من الظفر به فلا يغفلون عن نصب الحبائل فاعرف هذه الحالة والبس لهؤلاء القوم الذين هم اعداؤك سلاح الصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ثم روح عن قلبك كانه لا عدو لك ولا حاسد وان ذكرك ذاكر عند ولى الامر بسوء في وجهك او في غيبك فلا يرين منك الولى ولا غيره اختلاطا لذلك ولا اغتياظا ولا يقعن ذلك منك موقع ما يكرثك فانه ان وقع منك ذلك الموقع ادخل عليك امورا مشتبهة بالريب مذكرة لما قال فيك العائب وان اضطرك الامر في ذلك الى الجواب فاياك وجواب الغضب والانتقام وعليك بجواب الحجة في حلم ووقار ولا تشكن في ان القوة والغلبة للحليم ابدا * لا تحضرن عند الوالى كلاما لا يعنى ولا يؤمر بحضوره الا لعناية به او يكون جوابا بالشيء سئلت عنه ولا تعدن شتم الوالى شتما ولا اغلاظه اغلاظا فان ريح العز قد تبسط اللسان بالفاظ فى سخط ولا باس جانب المسخوط عليه والظنين به عند الولاة ولا يجمعنك واياه مجلس ولا تظهرن له عذرا ولا تثنين عليه خيرا عند

أحد من الناس فاذا رأيته قد بلغ من الاعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يان له الوالى واستيقنت أن الوالى قد استيقن بمباعدتك اياه وشدتك عليه فضع عذره عند الوالى واعمل في ارضائه عنه في رفق ولطف * ليعلم الوالى انك لا تستكف عن خدمته ولا تدع مع ذلك أن تقدم اليه القول عن بعض حالات رضاه وطيب نفسه في الاستعفاء من الاعمال التى يكرهها ذو الدين وذو العرض وذو المروءة من ولاية القتل والعذاب وأشباه ذلك.

اذا أصبت الجاه والخاصة عند الملك فلا يحدثن لك ذلك تغيراً على أحد من أهله وأعوانه ولا استغناء عنهم فانك لا تدري متي ترى ادنى جفوة فتذل لهم فيها وفى تلون الحال عند ذلك من العار ما فيه.

ليكن مما تحكم من أمرك ان لا تسار أحداً من الناس ولا تهمس اليه بشيء تخفيه عن السلطان فان السرار مما يخيل كل من رآه انه المراد به فيكون ذلك في نفسه حسيكة (١)

(١) الحقد والعداوة

ووغراً وثقلا

لا تتهاونن بارسال الكذبة عند الوالى أو غيره في الهزل فانها تسرع في رد الحق وابطال الصدق مما تأ بى به. تكتب فيما بينك وبين الوالى خلقاً قد عرفناه في بعض الاعوان والاصحاب في ادعاء الرجل عند ما يظهر من صاحبه من حسن أثر أو صواب رأى انه هو عمل في ذلك وأشار به واقراره بذلك اذا مدحه مادح بل وان استطعت أن يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلا عن انك تدعى صوابه وتسند ذلك اليه وتزينه فافعل * فان الذى أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معطر باضعاف

اذا سأل الوالى غيرك فلا تكونن أنت المجيب فان استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل. وما أنت قائل اذا قال لك السائل ما اياك سألت أو قال لك المسؤول عند المسألة يعاد له بها دونك فأجب. واذا لم ينصب السائل في المسألة لرجل واحد وعم بها جماعة من عنده فلا تبادر بالجواب ولا تسابق الجلساء ولا تواثب

الـكلام وانبة فان في ذلك مع شين التكلف والخفة انك اذا سبقت القوم الى الـكلام صاروا لـكلامك خصماء فيتعقبونه بالعيب والطعن واذا أنت لم تعجل بالجواب وخليته للقوم اعترضت أقاويلهم على عينك ثم تدبرتها وفكرت فيما عندك ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً واستدبرت به أقاويلهم حتي تصيخ اليك الاسماع ويهدأ عنك الخصوم وان لم يبلغك الـكلام حتى تكتفى بغيرك أو ينقطع الحديث قبل ذلك فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن فى نفسك فوت ما فاتك من الجواب فان صيانة القول خير من سوء وضعه وان كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مائة كلمة أمثالها في غير فرصها ومواضيعها مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير وان ظن صاحبه ان قد أتقن وأحكم

واعلم أن هذه الامور لا ينال الا برحب الذرع عند ما قيل وما لم يقل وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة أو لم يظهر وسخاوة النفس عن كثير من الصواب مخافة الخلاف

والعجلة والحسد والمراء

اذا كلمك الوالى فاصغ الى كلامه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك بحديث نفسك واحذر هذا من نفسك وتعهد ما فيه

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان ودخلائه واتخذهم اخوانا ولا تتخذهم اعداء ولا تنافسهم في الكلمة يتقربون بها والعمل يؤمرون به فانما انت في ذلك احد رجلين اما ان يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وانت مجمل واما ان لا يكون ذلك عندك فما انت مصيب من حاجتك عندهم بمقاربتك وملاينتك وما انت واجد فى موافقتك اياهم ولينك لهم من موافقتهم اياك ولينهم لك افضل مما انت مدركه بالمنافسة والمناظرة

ولا يجترئن على خلاف اصحابك عند الوالى ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل وينقادون له ويتعلمون وهم اخلياء فاذا حضروا ذا السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه

في الرأى والعلم فضل فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجد فى كل حين سامعا فهماً وقاضياً عدلا وان ترك مناقضهم صار مغلوب الراى مردود القول

اذا أصبت عند الوالى لطف منزلة لغناء تجده عندك وهوى يكون لك فيك ولا تطمحن كل الطماح ولا تزينن لك نفسك المزايلة له عنه اليقين وموضع ثقته وسره قبلك بان تقتلعه وتدخل دونه فان هذه خلة من خلال السفه قد يبتلى بها الحلماء عند الدنو من ذى السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه ان يكون دون الاهل والولد لفضل يظنه في نفسه اونقص يظنه بغيره ولكل رجل من الملوك او ذي هيئة من السوقة اليف وانيس قد عرف روحه واطع على قلبه فليست عليه مرونة في تبذل يتبذل له عنده او رأى يستنزله منه او سر يفشيه اليه غير ان تلك الآنسة وذلك التبذل يستخرج من كل واحد منهما مالم يكن ليظهر منه عند الانقباض والتشدد ولو التمس ملتمس مثل ذلك عند من يستأنف ملاطفته ومؤانسته ان كان ذا فضل من الرأي والعلم يجد

عنده مثل ما هو منتفع به ممن هو دون ذلك في الرأى ممن قد كفى مؤانسته ووقع على طبـاعه لان الانسة روح القلب والوحشة روع عليه ولا يلتطاء بالقلوب الا مالان عليها ومن استقبل تأسيس الوحشة استقبل أمراً ذا مؤونة فاذا كلفتـك نفسك السمو الى منزلة من وصفت فاقدعها عن ذلك بمعرفة فضل الاليف والانيس واذا حدثتك نفسك أو غيرك لعله ممن يكون له فضل في المروءة أنك أولى بالمنزلة عند الكبير من بعض دخلائه وثقاته فاذكر الذى عليه من حق اليفه وثقته وانيسه في التكرمة والذى يعينه على ذلك من الرأى يجد عنده من الالف والانس اليس واجدا عند غيره فليكن هذا مما تتحفظ فيه على نفسك وتعرف فيه عذر الرجل ورأيه والرأى لنفسك في مثل ذلك ان ارادك مريد على الدخول دون انيسك واليفك وموضـع ثقتك وجدك وهزلك

اعلم انه تكاد تكون لكل رجل غالبـة حديث اما عن بلد من البلدان اوضرب من ضروب العلم او صنف من صنوف

الناس اووجه من وجوه الرأى وعند ما يعزم به الرجل من ذلك يبدو منه السخف ويعرف منه الهوى فاجتنب ذلك في كل موطن ثم عند أول الامر خاصة لاتشكون الى وزراء السلطان ودخلائه مااطلعت عليه من رأى تكرهه فانك لا تزيد على ان تفطنهم لميله وتغريهم بتزيين ذلك والميل عليك معه

اعلم ان الرجل ذا الجاه عند الوالى والخاصة لا محالة ان يرى من الوالى مايخالفه من الرأى في الناس والامور فاذا اثر أن يكره كل مايخالفه اويمتعض من الجفوه يراها في المجلس او النبوة فى الحاجة او الرد لرأى او الادناء لمن يهوى ، ادناءه والاقصاء لمن يكره اقصاءه فاذا وقعت في قلبه الكراهية تغير لذلك وجهه ورأيه وكلامه حتى يبدو ذلك للوالى وغيره فيكون ذلك لفساد منزلته سبباً فذلل نفسك باحتمال ماخالفك من رأى الودة وقررها بأنهم انما كانوا أولياءك لتتبعهم في آرائهم وأهوائهم ولا تكلفهم اتباعك وتغضب من خلافهم اياك

اعلم أن الملوك يقبلون من وزرائهم التبخيل ويعدونه منهم مشفقة ونظراً ويحمدونهم عليه وان كانوا أجواداً فان

كنت مبخلا غششت صاحبك بفساد مروءته وان كنت مسخياً لم تأمن أضرار ذلك بمنزلتك عنده فالرأى لك تصحيح النصيحة على وجهها والتماس المخرج فيما تترك من تبخيل صاحبك بأن لا يعرف منك فيما تدعوه اليه ميلا الى شيء من هواك ولا طلباً لغير ما ترجو أن يزينه وينفعه ✿ لا تكونن صحبتك للملوك الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فى المكروه عندك وما اتفقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على ميلهم دون ميلك وعلى أن لا تكتمهم سرك ولا تستطلع ما كتموك وتخفي ما أطلعوك عليه من الناس كلهم حتى تحمي نفسك الحديث به وعلى الاجتهاد في رضاهم والتلطف لحاجاتهم والتثبت لحجتهم والتصديق لمقالتهم والتزيين لرأيهم وعلى قلة الاستقباح لما فعلوا اذا ساءوا وترك الاستحسان لما فعلوا اذا أحسنوا وكثرة النشر لمحاسنهم وحسن الستر لمساويها والمقاربة لمن قاربوا وان كان بعيداً والمباعدة لما باعدوا وان كانوا اقرباء والاهتمام بامرهم وان لم يهتموا به والحفظ له وان ضيعوه والذكر له وان نسوه

والتخفيف عنهم لمؤونتك والاحتمال لهم كل مؤونة والرضى عنهم بالعفو وقلة الرضى من نفسك لهم بالجهود فان وجدت عنهم وعن صحبتهم غنى فاغن عن ذلك نفسك واعتزله جهدك فان من يأخذ عملهم يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن لا يأخذ بحقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة . انك لا تأمن أنفهم ان اعلمتهم ولا عقوبتهم ان كتمتهم ولا تأمن غضبهم ان صدقتهم ولا تأمن سلوتهم ان حدثتهم ان لزمتهم لم تأمن تبرمهم بك وأن زايلتهم لم تأمن عقابهم . انك ان تستامرهم حملت المؤونة عليهم وان قطعت الامر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . انهم ان سخطوا عليك اهلكوك وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم مالا تطيق فان كنت حافظا ان بلوك جلدا ان قربوك أميناً لمنافعهم ذليلا ان ظلموك راضيا ان أسخطوك والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر

باب الصديق

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل واحد ان سمعت من صاحبك كلاما أو رأيا يعجبك فلا تنتحله تزينا به عند الناس واكتف من التزين بان تجتنى الصواب اذا سمعته وتنسبه الى صاحبه ✡ واعلم ان انتحالك ذاك سخطة لصاحبك وان فيه مع ذلك عارا فان بلغ ذلك بك ان تشير برأى الرجل وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء وهذا من سوء الادب الفاشى في الناس ومن تمام حسن الخلق والادب ان تسخو نفسك لاخيك بما انتحل من كلامك ورأيك او تنسب اليه رأيه كلامه وتزينه مع ذلك ما استطعت لا يكونن من خلقك ان تبتدىء حديثا ثم تقطعه وتقول سوف كانك روأت فيه بعد ابتدائه وليكن ترويك فيه قبل التفوه فان احتجان الحديث بعد افتتاحه سخف . اخزن عقلك وكلامك

الا عند اصابة الموضع فانه ليس في كل حين يحسن كل الصواب وانما تمام اصابة الرأى والقول باصابة الموضع فان اخطاءك ذلك ادخلت المحنة على علمك حتى تأتى به ان اتيت به في غير موضع وهو لا بهاء ولا طلاوة له لتعرف العلماء حين تجالسهم انك على ان تسمع احرص منك على ان تقول . ان آثرت ان تفاخر احداً ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد أو قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جداً فانك ان خلطت بالجد هزلا هجنته وان خلطت بالهزل جدا كدرته غير انى قد علمت موطنا واحداً فان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأى وظهرت على الاقران. ذلك ان يتوردبالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو أحد رجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه

لك اقربها من عدوك لشر يكفيه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان تحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فبأى حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من يهوى . تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الاصحاب وطب نفسا عن كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأى مداراة لئلا يظن أصحابك أن مابك التطاول عليهم إذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك الا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال عليه والتفتح له فان الانسان طبع على ضرائب لؤم فمن شأنه ان يرحل عمن لصق به ويلصق بمن رحل عنه ✡ لاتكثرن ادعاء العلم في كل مايعرض فانك من ذلك بين فضيحتين اما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم منك على الجهالة والصلف واما لا ينازعوك ويخلوا الامور فى يديك فينكشف منك التصنع والمعجزة ✡ استحى الحياء كله من أن أن تخبر صاحبك انك عالم وانه جاهل مصرحاً أو معرضاً وان استطلت على الاكفاء فلا تثقن منهم بالصفاء ان آنست

من نفسك فضلا فتحرج أن تذكره أو تبديه واعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك فى قلوب الناس من العيب اكثر مما يقدر لك من الفضل وأعلم انك أن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف ولايخفين عليك أن حرص الرجل على اظهار ماعنده وقلة وقاره في ذلك باب من البخل واللؤم وان من خير الاعوان على ذلك السخاء والتكرم ✡ ان احببت أن تلبس ثوب الوقار والجمال وتتحلى بحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذى لاجبار فيه ولا عثار فكن عالماً كجاهل وناطقاً كعى. فاما العلم فيرشدك واما قلة ادعائه فينفى عنك الحسد وأما المنطق اذا احتجت اليه فسيبلغ حاجتك وأما الصمت فيكسبك المحبة والوقار واذا رأيت رجلا يحدث حديثاً قد علمته او يخبر خبراً قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تعتبه عليه حرصاً على أن يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحاً وسوء آدب وخفاء. ليعرف اخوانك والعامة انك أن استطعت أن تكون الى أن تفعل ما لاتقول اقرب

منك الى أن تقول مالا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عار وهجنة وفضل الفعل على القول زينة وأنت حقيق فيما وعدت من نفسك أو أخبرت صاحبك عنه أن تحتجن بعض مافي نفسك اعداداً لفضل الفعل على القول وتحرزاً بذلك عن تقصير فعل ان قصر وقلما يكون الا مقصراً

احفظ قول الحكيم الذى قال لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك لان العدو خصم تضربه بالحجة وتغلبه بالحكام وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاء

اجعل عامة تشبثك في مواخاة من تواخى ومواصلة من تواصل ووطن نفسك على انه لاسبيل لك الى قطيعة اخيك وان ظهر لك منه ماتكره فانه ليس كالمرأة التي تطلقها اذا شئت ولكنه عرضك ومروءتك فانما مروءة الرجل اخوانه واخدانه فان عثر الناس على انك قطعت رجلا من اخوانك وان كنت معذراً نزل ذلك عند اكثرهم بمنزلة الخيانة للاخاء والملال وان انت صبرت مع ذلك على مقارته

غير الرضى عاد ذلك الى العيب والنقيصة فالاتئاد الاتئاد والتثبت التثبت

اذا نظرت في حال من ترتاه لاخائك فان كل اخوان الدين فليكن فقيهاً ليس بمرآء ولا حريص وان كان من اخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب ولا شرير ولا مشنوع فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه وان الكذاب لا يكون اخاً صادقاً لان الكذاب الذى يجرى على لسانه انما هو من فضول كذب قلبه وانما سمى الصديق من الصدق وقد يتهم صدق القلب وان صدق اللسان فكيف اذا ظهر الكذب على اللسان وان الشرير يكسبك العدو ولا حاجه لك في صداقة تجلب العداوة وان المشنوع شانع صاحبه . تحرز من سكر السلطة وسكر العلم وسكر المنزلة وسكر الشباب فانه ليس من هذا شىء ولا وهو ريح جنة تسلب العقل ويذهب الوقار وتصرف القلب والسمع والبصر واللسان عن المنافع

اعلم ان انقباضك (١) عن الناس يكسبك العداوة وان

---

(١) عدم المروءة

تفرشك لهم يكسبك صديق السوء وفشولة الاصدقاء اضر من بعض الاعداء فانك ان واصلت صديق السوء اعيتك جرائره وان قطعته شانك اسم القطيعة والزمك من ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك فان المعايب تنمى والمعاذير لا تنمي . البس للناس لباسين ليس للعاقل بد منهما ولا عيش ولا مروءة الا بهما لباس انقباض واحتجاز تلبسه للعامة فلا تلبسن الا متحفظا متشددا متطرزا مستعدا ولباس انبساط واستئناس تلبسه للخاصة من الثقات فتلقاهم بينات صدرك وتفضى اليهم بموضوع حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم وأهل هذه الطبقة الذين هم أهلها قليل لان ذا الرأي لايدخل احد من نفسه هذا المدخل الا بعد الاختبار والسبر والثقة بصدق النصيحة ووفاء العقل

اعلم ان لسانك اداة مغلبه يتغالب عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك فكل غالب عليه مستمتع وصارفه فى محبته فاذا غلب عليه عقلك فهو لك واذا غلب عليه شيء

من أشباه ماسميت لك فهو لعدوك فان استطعت أن تحتفظ به فلا يكن الا لك ولا يستولى عليه أويشاركك عدوك فيه فافعل

اذا نابت اخاك احدى النوائب من زوال نعمة او نزول بلية فاعلم انك قد ابتليت معه اما بالمواساة فتشاركه في البلية وأما بالخذلان فتحتمل العار فالتمس المخرج عند اشتباه ذلك وآثر مروءتك على ما سواها فان نزلت الجائحة التى تأبى مشاركة اخيك فيها فاجمل فلعل الاجمال يسعك لقلته في الناس

اذا اصاب اخاك فضل فانه ليس في دنوك منه وابتغائك مودته وتواضعك له مذلة فاغتنم ذلك واعمل فيه

اذا كانت لك عند احد صنيعة او كان لك عليه طول فالتمس احياء ذلك باماتته وتعظيمه بالتصغير له ولا تقتصرن في قلة المن على ان تقول لا اذكره ولا اصغي بسمعي الى من يذكره فان هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بعقل ولا كرم ولكن احذر ان يكون في مجالسانك اياه وما

تكلمه به او تستعينه عليه او تجاريه فيه شيء من الاستطاله فان الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف. احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل واعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة واعلم انك لا تصيب الغلبة الا بالجهاد وان قلة الاعداد لموافقة الطبائع المتطلعة هو الاستسلام وانه ليس احد الا فيه من كل طبيعة سوء عزيزة وانما التفاضل بين الناس فى مغالبة طبائع السوء فاما ان يسلم احد من ان تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع الا أن الرجل القوى اذا كابرها بالقمع لها كلها كلما تطلعت لم يلبث أن يميتها حتى كأنها ليست فيه وهى في ذلك كامنة كمون النار فى العود فاذا وجدت قادحاً من غير علة او غفلة استورت كما تستورى عند القدح ثم لا يبدأ ضررها الا بصاحبها كما لا تبدأ النار الا بعودها التى كانت فيه

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يكاد يخطئك فان الصبر صبران صبر

الرجل على مايكره وصبره عما يحب فالصبر على المكروه أكثرهما واشبههما أن يكون صاحبه مضطراً واعلم أن اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً وليس الصبر الممدوح بان يكون جلد الرجل وقاحاً أو رجله قوية على المشى أو يده قوية على العمل فانما هذا من صفات الحمير ولكن أن يكون للنفس غلوباً وللامور محتملا وفي الضر مجملا ولنفسه عند الرأى والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركا وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الإهواء والشهوات مواظباً ولبصره بعزمه منفذاً

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك وبلغتك. واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين واحدهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنافع وللعلم الذى هو ذكاء العقول وصقالها وجلائها فضيلة منزلة عند اهل الفضل في الباب ✲ عود نفسك السخاء واعلم انهما سخاآن سخاوة نفس الرجل عما في يديه وسخاوته عما في ايدى الناس وسخاوة

نفس الرجل بما في يديه اكثرهما واقربهما من ان تدخل فيه المفاخرة وتركه مافي ايدي الناس امحض في التكرم وانزه من الدنس فان هو جمعهما فبدل وعطف فقد استكمل الجود والكرم

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تكون حسودا فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه انه يؤكل بالادنى من الاقارب والاكفاء فليكن ما تقابل به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنما لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وأفضل منك في الدين فتزداد صلاحا بصلاحه.ليكن ماتنظر فيه من امر عدوك وحاسدك ان تعلم انه لاينفعك ان تخبر عدوك انك له عدو فتنذره نفسك وتؤذنه بحربك قبل الاعداد والفرصة فتحمله على التسلح لك وتوقد ناره عليك

أعلم ان أعظم خطرك ان ترى عدوك انك لا تتخذه

عدوا فان ذلك غرة له وسبيل لك الى القدرة عليه فان انت
قدرت فاستطعت اغتفارا لعداوته عن ان تكافيء بها فهنالك
استكملت عظيم الخطر وان كنت مكافئا بالعداوة والضرر
فاياك ان تكافيء عداوة السر بعداوة العلانية وعداوة الخاصة
بعداوة العامة فان ذلك هو الظلم والعار واعلم مع ذلك انه
ليس كل العداوة والضرر يكافي بمثله كالخيانة لا تكافيء بالخيانة
والسرقة لا تكافيء بالسرقة ومن الحيلة في امرك ان تصادق
اصدقائه وتؤاخي اخوانه فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق
والتجافي فانه ليس رجل ذو طرق يمتنع من مؤاخاتك اذا التمست
ذلك منه وان كان اخوان عدوك غير ذوي طرق فلا عدو لك ✿ لا
تدع مع السكوت عن شتم عدوك احصاء معايبه ومثالبه واتباع
عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك صغير ولا كبير من غير
ان تشيع عليه فيتقيك به ويستعد له او تذكره في غير
موضعه فتكون كمستعرض الهواء بنبله قبل امكان الرمي ✿
لا تتخذ اللعن والشتم على عدوك سلاحا فانه لا يخرج في
نفس ولا في مال ولا دين ولا منزلة ✿ ان اردت ان تكون

داهيا فلا تحين ان تسمى داهيا فانه من عرف بالدهاء خاتل علانيه وحذره الناس حتى .. تنع منه الضعيف وان من ارب الا ريب دفن اربه ما استطاع حتي يعرف بالمسامحة في الخليقة والطريقة ومن اربه الا يورب العاقل المستقيم له الذى يطلع على غامض اربه فيمقته عليه

ان اردت السلامة فاشعر قلبك الهيبة للامور من غير ان تظهر منك الهيبة فيفطن الناس لهيبتك ويجريهم عليك ويدعو ذلك اليك منهم كل ما تهاب فاشعب لمداراة ذلك مــن كتمان المهابة واظهار الجراءة والتهـاون طائفة من رأيك . ان ابتليت بمجازاة عدو مخالف فالزم هذه الطريقة التى وصفت لك من استشعار الهيئة واظهار الجراءة والتهاون وعليك بالحذر فى امرك والجزاءة في قلبك حتي تملأ قلبك جراءة ويستفرغ عملك الحذر

ان عدوك من تعمل في هلا كه ومنهم من تعمل في البعد عنه فاعرفهم على منازلهم ومن اقوى القوة لك على عدوك واعز انصارك في الغلبة ان تحصى على نفسك العيوب والعورات

كلما تحصيها على عدوك وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه
لاحد من الناس هل قارفت مثله أو مشا كله فان كنت قارفت
منه شيئا فاحصه فيما تحصي على نفسك حتى اذا حصيت
ذلك كله فكابر عدوك باصلاح عيوبك و تحصين عوراتك
واحراز مقاتلك وخذ نفسك بذلك ممسيا مصبحا فاذا آنست
منها دفعا لذلك أو تهاونا به فاعدد نفسك عاجزا ضائعا جانيا
معورا العدوك ممكنا له من رميك وان حصل من عيوبك بعض
ما لا تقدر على اصلاحه من أمن قد مضى يعيبك عند الناس
ولا تراه انت عيبا فاحفظ ذلك وما عسى ان يقول فيه قائل
من حسبك أو مثالب ابائك او عيب اخوانك ثم اجعل ذلك
كله نصب عينيك واعلم ان عدوك امر يدك بذلك فلا تغفل
عن التهيؤ له والاعداد لقوتك وحجتك وحيلتك فيه سرا
وعلانية فاما الباطل فلا تروعن به قلبك ولا تستعدن له
ولا تشتغلن به فانه لا يهولك مالم يقع واذا وقع اضمحل

أعلم انه قلما بده احد بشيء يعرفه من نفسه وقد كان
يطمع في اخفائه عن الناس فيعيره به معير عند سلطان أو

غيره الا كاد يشهد به عليه وجهه وعيناه ولسانه للذى يبدو منه عند ذلك والذى يكون من انكساره وفتوره عند تلك البداهة فاحذر هذه وتصنع لها وخذ اهبتك لبغتاتها

واعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ومن البلاء على المغرم بهن انه لاينفك يأجم (١) ماعنده وتطيخ عيناه الى ماليس عنده منهن وانما النساء اشباه ومايرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه وانما المترغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمترغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما فى رحال الناس من الاطعمة أشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء. ومن العجب او الرجل الذى لابأس فى لبه يرى المرأة من بعيد ملتفة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتى

(١) أجم الطعام وغيره كرهه ومله

تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح واذم الدمامة فلا يعظه ذلك عن أمثالها ولا يزال مشغوفا بما لم يذق حتي لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأنا غير شأن ماذاق وهذا الحمق والشقاء ولم يحم نفسه ويظلفها ويجليها عن الطعام والشراب والنساء في بعض ساعات شهوته وقدرته كان أيسر مايصيبه من وبال امره انقطاع تلك اللذات عنه بخمود نار شهوته وضعف عوامل جسده وقل من تجد الا مخادعاً لنفسه في أمر جسده عند الطعام والشراب والحمية والدواء وفي أمر مروته عند الاهواء والشهوات وفي أمر دينه عند الريبة والشبهة والطمع

ان استطعت أن تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأى وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التى تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذى تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم تزين هو الجمال

لايعجبنك العالم ما لم يكن عالماً عواضعم ما يعلم . ان غلبت على الكلام وقتا فلا تغلبن على السكوت فانه لعله ان يكون المراء واعرفه ولا يمنعنك حذر المراء من حسن الناظرة والمجادلة ، واعلم ان الممارى هو الذى لا يحب ان يتعلم ولا يتعلم منه فان زعم زاعم انه انما يجادل في الباطل عن الحق فان المجادل وان كان ثابت الحجة ظاهر البينة فانه خاصم الى غير قاض وانما قاضيه الذى لايعدو بالخصومة الا اليه عدل صاحبه وعقله فان آنس أو رجا من صاحبه عدلا يقضى به على نفسه فقد أصاب وجه امره وان تكلم على غير ذلك كان ممارياً

ان استطعت ألا تخبر أخاك عن ذات نفسك بشىء الا وأنت محتجن عنه بعض ذلك التماساً لفضل الفعل على القول واستعداداً لتقصير فعل ان قصر فافعل واعلم ان فضل الفعل على القول زينة وفضل القول على الفعل هجنة وان أحكام هذه الخلة من غرائب الخلال

اذا تراكمت الاعمال عليك فلا تلتمس الروح في مدافعتها والروغان منها فانه لا راحة لك الا في اصدارها وان الصبر

عليها هو يخفها وان الضجر منها هو يراكمها عليك فتعهد من ذلك في نفسك خصلة قد رأيتها تعتري بعض اصحاب لاعمال ان الرجل يكون في امر من امره فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخير فيكدر ذلك بنفسه تكديرا يفسد ما كان فيه وماورد عليه حتى لا يحكم واحدا منها فان ورد عليك مثل ذلك فليكن معك رأيك الذى تختار به الامور ثم اختر اولى الامرين بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ولا تعظمن عليك فوت مافات وتأخير ما تأخر اذا اعملت الرأى معمله وجعلت شغلك في حقه.

اجعل لنفسك في كل شيء غاية ترجو القوة والتمام عليها واعلم انك ان جاوزت الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم صرت من الجهال وان جاوزتها في تكلف رضي الناس والخفة معهم في حاجاتهم كنت المصنع المحسود

اعلم ان بعض العطية لؤم وبعض البيان عي وبعض العلم جهل فان استطعت ان لا يكون عطاؤك جورا ولا بيانك

هذرا ولا علمك جهلا فافعل

اعلم انه ستمر عليك احاديث تعجبك اما مليحة واما رائعة فاذا اعجبتك كنت خليقا بان تحفظها فان الحفظ موكل بما راع وستحرص على ان تعجب منها الاقوام فان الحرص على ذلك التعجب مـن شأن الناس وليس كل معجب لك معجبا لغيرك واذا نشرت ذلك مرة او مرتين فلم تره وقع من السامعين موقعة منك فازدجر عن العود فان التعجب من غير عجب سخف شديد وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء ولا يقلع عن الحديث به ولا يمنعه قلة قبول اصحابه له من ان يعود ثم يعود. اياك والاخبار الرائعة وتحفظك منها فان الانسان من شأنه الحرص على الاخبار لا سيما راع منها فاكثر الناس من يحدث بما سمع ولا يبالى ممن سمع وذلك مفسده للصدق ومزارة بالرأى فان استطعت الا تخبر بشيء الا وأنت به مصدق ولا يكون تصديقك الا ببرهان فافعل.

ولا تقل كما يقول السفهاء اخبر بما سمعت فان الكذب

اكثرما انت سامع وان السفهاء اكثرمن هو قائل وانك ان صرت للاحاديث واعيا وحاملا كان ما تعي و تحمل عن العامة اكثرها مما يخترع المخترع باضعاف

انظرمن صاحبت من الناس من ذوى فضل عليك بسلطان ومنزلة ومن دون ذلك من الخلصاء والاكفاء والاخوان فوطن نفسك في صحبته على ان تقبل منه العفو وتسخر نفسك عما اعتاض عليك مماقبله غير معاتب ولا مستبطىء ولا مستزيد فان المعاتبة مقطعة للود وان الاستزادة من الجشع وان الرضى بالعفو والمسامحة في الخلق مقرب لك كل ما تتوق اليه نفسك مع بقاء العرض والمودة والمروءة

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكانك قد رضيت ما أتى به فاجتنب ان تحتذي مثاله فان كان ذلك عندك مذموما فحقق ذمك اياه بترك معارضته فأما ان تذمه وتمتثله فلا يس ذلك لك ☆ لا تصاحبن احدا وان استأنست به اخا قرابة او اخا مودة ولا ولدا الا بمروة فان كثيرا من

اهل المروة قد يحملهم الاسترسال أو التبذل على ان يصحبوا كثيرا من الخلصاء بالادلال والتهاون ومن فقد من صاحبه صحبة المروة ووقارها احدث له في قلبه رقة شأن وخفة منزله . لا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه بكل كلمة ورأى ولا تجترين على تقريعه وتبكيته بظفرك اذا استبان وحجتك اذا وضحت فان اقواماً يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى في ذلك على ان يتعقبوا الكلمة بعدما تنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الاصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الاخلاق

لايعجبنك اكرام من يكرمك لمنزلة او سلطان فان السلطة اوشك امور الدنيا زوالا ولا يعجبنك اكرامهم اياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ولكن اذا اكرمت على دين او مرؤة فذلك فليعجبك فان المرؤة لاتزايلك في الدنيا والدين لايزايلك في الاخرة

اعلم ان الجبن مقتلة وان الحرص محرمة فانظر فيما رأيت او سمعت امن قتل في القتال مقبلا اكثر ممن قتل

مدبرا وانظر امن يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخوا اليه نفسك بطلبته امن يطلب اليك بالشره * اعلم انه ليس كلا من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء وذكرته انت بخير ينفعه ذلك او يضره فلا يستخفنك ذكر احد من صديق او عدو الا في موطن دفع او محاماة فان صديقك اذا وثق بث في مواطن المحاماة لم يحفل ماتركت مما سوى ذلك ولم يكن له عليك سبيل لائمة وان الاحزم في امر عدوك الاتذكره الاحيث يضره والا تعد يسير الضر ضرا * اعلم ان الرجل قد يكون حليما فيحمله الحرص على ان يقال جليد والمخافة ان يقال مهين على ان يتكلف الجهل وقد يكون الرجل زميتا فيحمله الحرص على ان يقال لسن والمخافة من ان يقال عي على ان يقول في غير موضعه فيكون هذرا فاعرف هذا واشباهه واحترس منه كله . اذا بدهك امران لاتدرى ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى . ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس والاستغناء عنهم فيكون افقارك اليهم في لين كلمتك

وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهـة عرضك وبقاء عزك . لا تجالس امراء بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعيي بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذى جليسك بحملك عليه ثقل مالا يعرف وغمك اياه بمثل مايغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه واعلم انه ليس من علم تذكره وعند غير اهله الا عادوه ونصبوا له وانقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيرا من اللهو واللعب الذى هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يحضره فيثقل عليه ويغتم به . ليعلم صاحبك انك حدب على صاحبه واياك ان عاشرك امرؤ ورافقك ان لا يرى منك باحد من اصحابه واخد انه رأفة فان ذلك يأخذ من القلوب ماخـذا وان لطفك بصاحب صاحبك احسن عنده موقعا من لطفك به بنفسه . اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقـد على المنطلق ويشكر للمكتئب

اعلم انك ستسمع من جلسائك الرأى والحديث تنكره

وتستجفيه من محدث عن نفسه او عن غيره فلا يكـونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء مما يأتى به جليسك ولا يجرئنك على ذلك ان تقول انما حدث عن غيره فان كل مردود عليه سيمتعض من الرد وان كان في القوم من يكره ان يستقر في قلبه ذلك القول لخطاء تخاف ان يعقد عليه او مضرة تخشاها على احد فانك قادر على ان تقض ذلك في سر فيكون ايسر للنقض وابعد للبغضة . واعلم ان البغضة خوف والمودة امن فاستكثر من المودة صامتا فان الصمت يدعوها اليك وناطقا بالحسنى فان المنطق الحسن يزيد في ود الصديق ويسهل سخيمة الوغر

واعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشى القصد من دواعى المـودة اذ لم يخالط ذلك بأو ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الـكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت لجواب الى والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول واعلم ان المستشار ليس

بكفيل والرأي ليس بمضمون بل الرأى كله غرر لان امور الدنيا ليس شيء منها بثقة ولانه ليس شيء من امرها يدركه الحازم الا وقد يدركه العاجز بل ربما اعيى الحزمة ماامكن العجزة فاذا اشار عليك صاحبك برأي فلم تجد عاقبته على ماكنت تأمل فلا تجعل ذلك عليه لوما وعذلا تقول انت فعلت هذابي وانت امرتني ولولا انت ولاجرم لاطيعك فان هذا كله ضجر ولؤم وخفة وان كنت انت المشير فعمل برأيك اوترك فبد صوابك فلا تمنن ولا تكثرن ذكره ان كان في نجاح ولا تلم عليه ان كان استبان في تركه ضرر تقول الم أقل لك الم أفعل فان هذا مجانب لادب الحكماء . اعلم فيما تتكلم به صاحبك انمما يهجن صواب ماتاتى به ويذهب بهجته ويزرى بقبوله عجلتك في ذلك قبل ان يقضى اليك بذات نفسه ومن الاخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع فيه ومن الاخلاق التى انت جدير بتركها اذاحدث الرجل حديثا تعرفه الا تسابقه اليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه حتى

كانك تظهر للناس بأنك تريد ان يعلموا انك تعلم من مثل الذى يعلم وماعليك أن تهنئه بذلك وتفرده به وهذا الباب من أبواب البخل وابوابه الغامضة كثيرة . واذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة أو الفصاحة

اعلم أن بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء يدعو اليك ماتتقي . ان رأيت نفسك تصاغرت الدنيا أودعتك الى الزهادة فيها على حال تعذر منها عليك فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فانها ليست بزهادة ولكنها ضجر واستخذاء وتغير نفس عندما أعجز من الدنيا وغضب منك عليها مما التوى عليك منها ولو عمت على رفضها وامسكت عن طلبها أو شكت ان تري من نفسك من الضجر والجزع اشد من ضجرك الاول بأضعاف ولكن اذا دعتك نفسك الى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فأسرع اجابتها . اعرف عورتك وأياك أن تعرض بأحد فيما شاركها واذا ذكرت من أحد خليقته فلاتناضل عنه مناضلة

المدافع عن نفسه فتتهم بمثلها ولا تلح كل الالحاح وليكن ما كان منك من غير اختلاط فان الاختلاط من محققات الريب واذا كنت في جماعة قوم أبدا فلا تعمن جيلا من الناس وامة بشتم ولاذم فانك لاتدرى لعلك تداول بعض اعراض جلسائك ولاتعلم . ولاتذمن مع ذلك اسماء الرجال والنساء بأن تقول ان هذا القبيح من الاسماء فانك لاتدري لعل ذلك موافق لبعض جلسائك بعض اسماء الاهلين والحرم ولا تستصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح في القلب وجرح اللسان أشد من جرح اليد . اعلم أن الناس يخدعون انفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساويهم ونقيصتهم وكل ذلك عين عند سامعيه من وضح الصبح فلا تكونن من ذلك في غرور ولا تملن نفسك من أهله

انى مخبر لاعن صاحب كان اعظم الناس في عينى وكان رأس ما اعظمه عندى صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه مؤنة ولا

يستخف له رأيا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة وكان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين كان يري متضاعفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلى بحجة حتى يجد قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احداً على ما يكون العذر في مثله حتي يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولى ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان طقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق

عن نسخة وجدت في مكتبة عاشر افندى المرحوم شيخ الاسلام السابق بدار السعادة العلية

«تم الكتاب الدرة اليتيمة بعون الله سبحانه وقوته والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله واصحابه اجمعين

واتماما للفائدة قد زينا هذه الدرة بكتاب (الوطنية) لان حب الوطن من الايمان والله سبحانه وتعالى هو المستعان

الوطنية

حب الوطن
من الايمان

كتاب أدبي عصري

حب الوطن من الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أبدع نظام العوالم وأوضح السبل وبين المعالم وهدى كلا لما فيه صلاح حاله وأرشده لحسن مآله لا اله الا هو جعل الارض مهاداً للسكن وخصص كل فريق بمستقر ووطن وحبب كلا في مسقط رأسه ومستقر أناسه والصلاة والسلام على سيدنا محمد من نشأ بخير الاوطان المنتخب من خلاصة معد وعدنان المنزل عليه في كتابه المبين (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وعلى آله وصحبه الذين حافظوا على الفروض والسنن وذبوا بعلمهم وعزمهم عن الدين والوطن

(وبعد) فان للوطن على أهله حقا أوجبته البقعة وحثت عليه المروءة ودعت الى القيام به الذمة وحضت عليه السجية وجبلت على ادائه النفوس الزكية ولعمر الوطن وانه لقسم لو تعلمون عظيم أن حق الوطن لمن أقدس الحقوق وأهم الواجبات وأفضل ما يؤدى بعد حق المولى جلت قدرته فانه نعم المهد في الصغر والمجد في الكبر به النشأة وفيه التربية ومنه الرزق واليه المأوى وعنه الشرف ومنه الترف يدخر لنا في جوف أرضه طيب الارزاق ويجري لنا بسلسبيل الماء ورقيق الهواء ويدأب لنا دأب الأب الشفوق للابناء البررة شعر

ان البلاد كثيرة | وأعزها عندى الوطن
فيه نشأت منعما | وبه وقيت من الوهن
وبه افتخرت على البلا | د ومن بها أيضا سكن
مصر السعيدة موطنى | من ذا يفاخرنى ومن

ولعمر مصر وأهلها ورقة هوائها وعذوبة نيلها انها للوطن الذى يجب ان يبذل في ترقيتها النفس والنفيس وأن

يحافظ عليها بالارواح ولكن قد سمعنا لفظة الوطنية يتكلم بها بعض افراد وطننا العزيز وظنوا ان هذا هو الحق الواجب الذى يطالبهم به الوطن ففخموا لفظها وملأوا الافواه بذكرها وليس هو المطلوب ولا الكافي في ترقية ابناء البلاد وانما الواجب هو العمل بلا قول أو اتباع الاقوال بالاعمال أما من يهزؤن مما يفعله سواهم ويقبحون صنع من عداهم ويعدونه صغيراً لايفيد في مصالح الوطن العمومية ولا يجلب له خيراً كثيرا أو يصفون أهل البلاد بتقاعد هممهم وسوء منقلبهم لعدم صدق وطنية أبنائها وقلة سعيهم في طريق منافعها بالجد والاجتهاد أو يزعمون ان الامور تنزل في غير منازلها وتوضع في غير مواضعها فتهدى المناصب الى غير مستحقيها فانهم يقتلون أوقاتهم ويميتون اعمارهم بالاشتغال بما لا يفيد ولم يقيموا من العمل دليلا على صدق دعواهم وصحة مايزعمون وما النسبة بينهم وبين وطنهم الا كما قال الشاعر

أيها المدعي سليمي سفاها لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو　　ألحقت في الهجا ظلما بعمرو

ومن الاسف ان هذه الخصلة قد توجد في بعض من من أهالى بلادنا وانى لاخجل من تسجيل مثل ذلك في بطون الاوراق أو تلاوته في الجمعيات ولكن أى فائدة في اخفاء العيب أو انكاره وهو معلوم الواجب علينا أن نذكر به لعلها تنفع الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين

فمن الناس من اذا ذاكرته في المنافع العامة أخذ يشرح غوامضها ويبين الواجب فيها والطرق الموصلة لجلب النافع ودفع الضار والوسائل المؤدية الى تقويم حال الوطن وارتفاع شأنه من رفع منار العدالة وبث روح الفضيلة وتقرير المساواة وما شاكل ذلك ثم اذا فوض اليه أمر من تلك المصالح كان أبعد الناس عن الخير واستنكف من المساواة واستهجن معنى العدالة يعامل البرىء بذنب المسىء يطوى الحق تحت الباطل وتراه يعد كل ذلك من أعظم الاعمال ولو عارضه أحد في أعماله الخسيسة التى يعملها تذمر وتضجر

ومنهم من يقول أن كل مصيبة أحدقت بالوطن لم يكن منشئها الا التباغض والتحاسد وتفرق الكلمة والميل الى المنافع الشخصية وعدم الاكتراث بمنافع العامة ونحو ذلك ثم لو اتيت له بعد ذلك وقصدته فى حاجة عدها أمرا كبيرا والتوى من الغيظ التواء الثعبان ولو دعى الى اغاثة ملهوف أو ازالة مكروه عن بعض اخوانه أو الداخلين تحت أمرته لرأيته يتعلل ويعتذر أو يمتنع ويستكبر ويقول ليس هذا من خصائصى ولو طلب لتأسيس أمر خيرى يفيد زراعة بلده أو صناعة وطنه أو يساعد على تربية أبناء جلدته وجدته يستصغر ذلك وبسعه أراء طالبيه ويقول ماذا يعود على شخصى من ذلك ومالى ولابناء وطني دعهم في امرهم يرزقهم الله من غيرى كما قيل

صحبت الانام وجربتهم　　　فكل يميل الى شهوته
وكل يريد رضا نفسه　　　ويطلب نارالى برمته

ومنهم من يرشد الى العدل ويدعوالى الانصاف ولكن اذا عرض له حق في طريق منفعة خاصة له داس الحق بأخمصه

طالبا الوصول الى غايته وكانه بعد ذلك من قبيل الانصاف الذى يدعيه

ومنهم من يتشدق بقوله العمل العمل الشغل الشغل واذا نظرنا اليه وجدناه يمضى أوقاته النفيسة في تجارة الكسل والفراغ من العمل وتلك هي التجارة الخاسرة

ومنهم من ينتقد وهم قليلون على مرتكبى الجرائم وفاسدى الادارة وسيىء التدبير وشاربى الخمور مع انك تراهم واقفين فيما ينتقدونه على الغير كانهم يزعمون أن محل الانتقاد أن يكون الفعل الذميم صادرا عن سواهم اما اذا كان صادرا عنهم فقد اكتسب الحسن من ذواتهم فامثال هؤلاء جهلاء انذال عديمو الشرف الانسانى ووجودهم في الهيئة الاجتماعية شؤم ووبال عليها لان جهلهم ورداءة اعمالهم وان كان لامحالة يعود عليهم بعاقبة بئس العاقبة لايقتصر عليهم فقط بل يتعداهم الى العموم وذلك مناف لما حضت عليه الشرائع والقوانين من التعاضد والتعاون على فعل الخير وبث مافيه نفع للجميع

قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على العدوان وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا فالوطنيه هي ان يخلص الانسان المحبة للوطن اخلاصا ينتج عنه السعي بكامل الجهد فيما يعود عليه بالتقدم والنجاح ونماء ثروة بنيه وصلاح شأن أهليه نعم قد يعترض بعض الفضلاء جملة عقبات عقبات في سيرهم وتحل بهم نكبات ربما تسببها لهم سعيهم في رفعة الحق وخفض الباطل لكن ذلك لايدوم بل ربما كانت تلك المصائب أساسا لحصول الشرف والرفعة ومقدمات نتيجة النجاح كما عهد ذلك في البلاد التي سبقتنا الى غايات العز والرفاهية والسعادة والراحة فهذه سنة الله في خلقه لاتنال الراحة الا بالتعب ولن تبلغ الآمال الرفيعة الا بالجد والنصب كما قيل ✡ بقدر الكد تكتسب المعالى ومن المعلوم ان كل نفس قابلة للتأدب والتهذب وكل امرىء مستعد للكمال في أى زمان وجد ومن أى أرض نبت وعلى أى شكل كان كما تدل عليه التجربة ويشهد بصدقه

العيان ومن الغريب انك لو سرحت الطرف نحو البعض من الشبان في المقرى والمدن لوجدتهم وقد امتلكهم الغى حتى نفروا من الرشاد واستولى عليهم الضلال فلا تجد منهم رفيقين اصطحبا الاعلى ضلال ولا تفرقا الاعلى وبال ولكنها الاهواء عمت فأعمت فقل لمن هذا ديدنه هون على نفسك الامر وكيف يد الاسراف وافق من تمل السكر وارفق بأولادك وحواشيك فانك ان تماديت في غيك أصحبت محاطا بالافتراس فلا تجد سبيلا للخلاص ولات حين مناص فيتنازعون أموالك حتى تمسى صفر اليدين وليتك تنجو لالك ولا عليك دين بل تكابد مشقات هائلة تصيرك بين الناس حقيرا ذليلا فاقدا لجميع اللذات فتدثر بدثار التأنى والتصبر ولا تكن عجولا فالزمن باق واللذات وقتية ومتنوعة كل مافات منها عن وقته فله في الوقت الثانى عوض من غير نوعه وربما كان نوع اللذة الجديد أشهى واليق بذى المروآت فانظر الى بلادك نظر المتبصر واجعل

من سعيك قسطا ولو طفيفا في منفعتها فانها مربى أبنائك ومرتع أصدقائك فما يكون فيها من ثروة وانتظام قانون فهو سعادة لابناء وطنك

وأرى ان الكثير من العقلاء لاينكرون ان بعض ذوي اليسار لايلبون الاداعى الشهوة فاذا قيل ان في جهة كذا مهرجانا اوفي بيت فلان مغنيا مطربا أوموسيقيا بارعا رأيتهم يدافعون اليه ويتقاتلون عليه كانهم يطلبون ضرورة القوت واذا قيل انتظم مجلس علم أو التأمت جمعية فضل أوجاء خطيب رفيع الفكر واضح البيان وماشابه ذلك رأيتهم يتقاعدون عنها بل يثبطون من يرغب في التقرب اليها وان أتوها فرضا لايأتونها الا كسالى أومكرهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون

لكننا لانيأس من صلاح أحوالهم فان الناس في شؤنهم واخلاقهم تابعون لسير القوة العظمى النافذ أمرها فيهم التي يعبر عنها بالحكومة فكيف لاتصلح قلوبهم وتطهر أميالهم الى مافيه نفع أبناء وطنهم وقدقبض على أزمة الوطن

حاكم عادل دربته الايام وسبر الامور بمسبار الحكمة فتعلم كيف تكون الاميال الوطنية حتى أصبح والحمد لله لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها

يسألونك عن القوة الحاكمة الآن قل هى حكومة باذلة جهدها في الوقوف على ذوى الاستقامة لتقيمهم في الوظائف رفيعه كانت أو غير رفيعة وساعية كل السعى في تسهيل الطرق لاتساع دائرة العلوم والمعارف راغبة كل الرغبة في انتقال البلاد من حضيض الجهل والهمجية الى أوج ذروة العلم والانتظام بحالة قلبية عمومية فانقبضت أيدى الظلم وانكفت عوامل التعدى فاستحيا في الناس روح الامل وأخذ كل يشتغل بما فيه النفع الحقيقى وحسبنا ان شكلت جمعيات عديدة من الوطنيين لنشر العلوم والمعارف فسلكت مسلك النجاح واتخذت طريق الاصلاح والفلاح

وانتعش كثير من أهل الفضل والادراك وقد بدأت نار الغيرة في الاشتغال بل قوى لهبها حتى لم يتمكن

الضالون من اطفائها (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المبطلون) وصار الناس يقتفى بعضهم أثر بعض في الفضل والكمال ولم يكن ذلك في الازمنه السابقة يخطر على بال

ان سأل سائل هلا يحب الاغنياء ان يطمئنوا على أنفسهم وأموالهم هلا يبتغون أن تثبت قاعدة العدل فيهم وفى أعقابهم من بعدهم نجيبه بنعم يبتغون ذلك وكل منهم يحب ان يرتقى من وهدة المخاوف والذل الى سماء الأمن والاطمئنان فان قالوا واين السبيل الى هذه البغية المحبوبة قلنا انها جلية سهلة السلوك مطروقة للمتقدمين فما هي الا أن يقفوا على الاسباب التى أعدها غيرنا لنوال أعلى مراقي المجد في أوطانه فنالها فيها ندفع الى سواها لاندري ماذا يريد أن يصنع فيها فان غفلوا جميع ذلك ولم يكونوا نصراء لجيش العلم أصبحوا على شفا الخطر وانى أظن ان اختلاطنا بالامم الاوروباوية سنين عديدة علمنا أسباب الضعف ووسائل القوة وعرفنا مقدار المدنية ودرجة

الخشونة فلا يكاد أحد من أولئك الذين تحدث عنهم الا وقد وقف على شيء من ذلك وكثيراً مانسمعهم يتحدثون به على أطراف ألسنتهم ويتشدقون بأمثال هذه المباحث كانهم يعلمونها حق اليقين غير أنهم ويا أسفى لاتتحرك نفوسهم مع ذلك الى ابراز الآثار وبث ماعلموه صلاحا الى قالب الفعل دون القول كل واحد منهم يطلب الخير والاصلاح ولكن لايحب أن يكون البادىء بل يريد أن يبدأ الغير ثم هو يتبعه فان كانوا كذلك واستمروا على هذه الحال وسلكوا سبيل هذا المنوال فلابادىء ولاتابع

هذه أيامنا نسمع فيها طنين الامانى صادرا من القادرين على بلوغها لكنهم يطلبونها من غير وجهها فيعز عليهم منالها يروم البعض من ذوي الاقتدار ان يكون ميزان العدل منتصبا لايميل حبة ولكن على شرط أن لايؤخذ منهم مايجب عليهم وان لايكلفوا بعمل يطلبه العدل ويحكم به القانون يودون ان تنشر العلوم في أطراف البلاد حتي يعم نورها لكن على شرط ان لايكون لهم فيها مدخل

لايبذل نقد ولا تجسم عمل فعلى الاغنياء منا الذين يخافون على بلادهم وأهليها ان يتحدوا ويبذلوا من أموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب واتساع دوائر التعلم حتى تعم التربية وتثبت في أبناء البلاد جراثيم العقل والادراك وتتهذب النفوس ويشتد الاحساس بالمنافع والمضار وعلى الحكومة فى جميع ذلك ان تسن قوانين التعليم وتلاحظ أحوال المعلمين والمتعلمين ووقتئذ ضارع أبناء بلاد غيرنا من الامم ونكون معهم في رتبة المساواة لهم مالنا وعليهم ماعلينا في القوة العلمية العملية

فحالة وطننا هذا تستدعي تكثير المدارس العمومية والمكتبات الاهلية المشتملة على جميع الفنون والعلوم لتنوير عقول ذوى المعارف وتكثير العلماء والمتفننين وتنشر على أفاق مصر أنوار المعارف الخارجية وأسرار اللطائف الانسانية وان أبناء مصر أرباب قرائح زكية وحافظتهم قوية متي قصدوا شيئاً تعلموه في أقرب وقت

وزمان وكم قام على قابليتهم واستعدادهم لعظائم الامور أعظم برهان

ألم تعتبر أيها الوطنى بالجمعيات الاوربية التى لم يكن أعضاؤها الا المزراعين والصانعين والتجار كيف يبلغ ايراد الواحدة منها نحو ثلاثين مليونا من الجنيهات وجميع ذلك يصرف في بث المعارف والعلوم واتساع دائرة الصنائع والفنون وتقوية روح التربية الحقيقية التى لاشأن للبلاد اذا تحلى أبناؤها بحلاها

أيظن الوطنيون انهم يمكنهم نوال الشرف وحفظ الناموس الا اذا جاهدوا في سبيل الاصلاح بأموالهم وأنفسهم وانشأوا الآثار الظاهرة التى يحق لهم بعدها الافتخار بأنهم عرفوا مصلحة أنفسهم حقيقة فطلبوها من طريقها المألوف لان ارتقاء المعالى لايكون الا ببذل الاموال والنفوس

فيجب علينا معشر الوطنيين ان تشد عزائمنا بأسباب الاتحاد ونقوم بأمر الوفاق فتتحد قلوبنا على اعلاء الكلمة

وجلب العزة والرفعة للاوطان وان يجتهد كل واحد منا فيما يؤيد الشأن ويعلى المقام بحيث تسبق أعمالنا الاقوال وتلازم حركاتنا حركات الافكار وكيف لاتتحد قلوبنا وتشتد عزائمنا وقد علم كل منا ثمرة التعاون وادرك عاقبة التدابر والاختلاف وكيف نتقاعد عن الاعمال وقد صافانا الزمان فتولى امرنا الله هدانا الله للعمل بما يرضيه ووفقنا الى خير الاعمال

خصوصا وقد حث صلى الله عليه وسلم على حسن المعاشرة والملاطفة والتعاون في الخير بقوله وكونوا عباد الله اخوانا أعني في البر وفعل الخير والصلاح العمومي وتكثير المنافع فاكتسبوا ماتصيرون به اخوانا من المودة والائتلاف المرموز اليهما بقوله تعالى ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها

فيجب على من جمعهم وطن واحد التعاون على تحسين

الوطن وتكميل نظامه فيما يخص شرفه واعظامه وثروته لان الغنى انما يتحصل من انتظام المعاملات وتحصيل المنافع العمومية وهي تكون بين الوطن على السوية لانتفاعهم جميعاً بمزية النخوة الوطنية فمتى ارتفع من بين الجميع التظالم والتخاذل ومقت بعضهم لبعض ثبتت لهم المكارم والمآثر ودخلت فيما بينهم السعادة والثروة وتحسنت أحوالهم وهدأ بالهم

ولقد أتى على الشرق زمن تحسنت فيه أحوال زراعته وصناعته فزادت محصولاته وكثرت غلاته وكان يضرب بصناعته المثل لان بنيه هم الذين فاقوا كل الامم قديما فى الملاحة وهم أول من انشأوا السفن العظيمة وخاضوا بها عباب البحار وهم الذين شهدت لهم مشاهير اليونان والرومان بالبراعة والتقدم في كثير من الصنائع كالبناء والحفر وهم الذين اكتشفوا الصبغ الارجوانى الشهير من بعض الاصداف وما هذا الا نتيجة العلوم والمعارف والتعاون على نشرها التى أشرقت شموسها عليه زمانا غابرا وانبعث

فيه جنات فنونها حتي كان يؤمه الغير للاقتباس من فوائده ومنافعه والانتهال من بحر علومه

ألسنا نحن أولئك الاقوام الذين سموا على جميع الانام وكانوا أعلى الناس مقاما في القديم وأهل المنهج القويم وكان فخرهم الوصول الى أعظم الدرجات فكانوا يجعلون ذلك أصل كنوزهم وذخائرهم وتفاخرهم وحسبك انهم كانوا يتباهون بذلك في أسواقهم مثل سوق عكاظ وذى المجاز اليست تلك أمتنا العظيمة ذات المآثر الكريمة وهل يكون عندنا ريب بعد تركهم لنا الآثار الادبية والمادية ألسنا نحن العرب والعرب نحن فلماذا لاتستنهضنا الهمم ولا تستفزنا الوطنية ولا تحرضنا المروءة العربية ولا تحثنا الهمة الادبية على المساعدة والاخذ بناصر بعضنا بعضا لاعادة فخرنا ونصرنا وشرفنا وعزنا ومجدنا ورونقنا أوهل هناك مانع لتلك الطرق التي فتحوها لنا وقالوا اقتفوا أثرنا وعلى ظني بل ويقيني انه لايمنعنا عن ذلك سوى عدم الاتحاد الوطني ولعمرى لو اقتفينا منهج أوروبا التى أخذت العلوم عنا واقترضتها

منا لعدنا لما كنا فيه والعود أحمد . شعر

أن المعالى مغزى لاسبيل له
غير الثبات فواصله ولا تحل
فطائش العزم ممنوع مقاصده
لولا التثبت لم تبلغ ذرا الامل
فجانب الطيش واصبر للمعالى فان
يفوز بالخير غير السيد البطل
واقبل نصيحة مختار يودبها
سر النجاح قرين القول والعمل

ولا تكن من الذين يقولون هذه ألفاظ ساذجة ليس تحتها طائل ولقد أسمعت لو ناديت حيا لان من جد وجد وما لايدرك كله لايترك قله ثم اني أوجه كلامي هذا الى بعض الاغنياء من بلادنا الذين يدعون الوطنية ويقولون وياليت لو ما كان أشبه ذلك من أدوات الشرط والتمنى ثم ينفقون النفقات الجسيمة في اللهو والفخار الكاذب ولا يبذلون درهما وان بذلوا فشيء يسير جداً يقدر عليه أفقر

الناس في المطلوب الذين يعدونه عظيما

فو الله لا نصدقهم فيما يقولون من انهم يحبون العدل ويرغبون في الاصلاح ويعرفون خير أنفسهم وبلادهم بل ولا يصدقهم أحدا أبداً الا اذا برزوا الى ميدان العمل فحينئذ نعترف لهم بكل مايدعون ونؤدى لهم جزيل الشكر كما يحبون ويشتهون أما الكلام فقد شبعت منه الاذان وافعمت به القلوب فعلينا أن نتمسك بعروة الثبات فانه ماثبتت اية أمة الا وحط عن كاهلها جميع الاتعاب والبلايا والاضطهاد والرزايا وأمنت غائلة الاعتاف وتحصنت اعمالها من جائحة السلب والاعتدا. فصاحبه هو الساكن في منازل الرغد والهناء واللابس حلة الاسعاد فقط ولا مغالاة في الحق انه هو الضامن لتوطيد أركان العمران والكفيل بتشييد دعائم الاجتماع كيف لا وهو الحقيقة الجامعة لكل فرد من افراد الكمالات فالتفنن في الصنائع فصل من فصوله والتسابق في ميادين العلوم باب من أبوابه والتجافي عن مواضع النقيصة جزء منه والتجمل بالاخلاق الفاضلة نبذ من جواهره

فاذا لا بدع اذا قلنا أن صاحبه هو السعيد والواطىء باخمصه بساط النعيم فيا حبذا لو حذونا حذو الغربيين في التجارة والصناعة وانتشار العلوم والزراعة خصوصاً وان بلدنا زراعية وقد أجريت فيها الاصلاحات اللازمة في طرق الري فقد كان يوجد قبل ورود الاجنبي الينا في القرية الصغيرة أشخاص عديدون يتجرون في جميع أصناف المزروعات وغيرها من الاقمشة والمأكولات ويربحون من ذلك ربحا عظيما والآن نراهم يتضورون جوعا ويئنون تحت أحمال المشقات لبوار التجارة وكسادها واختصاصها بيد النزيل ويتبع ذلك سقوط صنعة النجارة والحدادة والحياكة وغيرها من أصناف الحرف اللاتي نسختها مستحدثات الامم المتمدينة أو ربما ينتهي بهم الامر لو استمروا على الجهالة الى خلو أيديهم من الزراعة أيضا لوجود من يحسنها سواهم فلا عجب بعد هذا اذا رأينا هؤلاء واقعين في هذه الفاقة والاضمحلال يئنون تحت أثقال الديون التي تستغرق جميع ما في حوزتهم من الاملاك وهذا ما يجعلهم اذلاء في قبضة الدائن الذى

رهنوه املاكهم ويتصرف فيهم بما يريد فيلاقون منه شمما لاتقدر على تحمله النفوس الشريفة ولا تستطيعه الطباع وربما كان الدائن من سفلة قومه والمدين من أعيان البلاد ولا تغنى يومئذ قصوره العالية ولا ثيابه المزركشة ولا اثاثاته الحريرية وهذا فضلا عما يعتريه من البلبال وكثرة الوساوس والافكار يبيت ليله يتقلب على مهاد الفكر يقدر محصولات زراعته قبل بذرها وينسبها لمقدار المطلوب في أيام الحصاد فاذا وجدها على قدره حصل له نوع من الاطمئنان ذاهلا عما عساه يحدث من الغرق والشرق والاندية المتساقطة من الجو حتى اذا حل الاجل ولم يجد لديه مايفي بالمطلوب لاصابة الزرع بأحد الاسباب التي ذكرناها ضرب كفا على كف واسود وجهه وساءت حالته هذا هو الشقاء الابدى الجالب للفقر المدقع والعذاب الاليم ويقول

هذا وعمركم الشقاء بعينه   لا أم لى ان دام ذاك ولا أب

وهذه مشاربهم في الاحوال المعاشية تحزن المحب

وتفرح قلب الرقيب فحق للعين أن تذرف الدموع على هذا المصاب وألسنة القوم ان تنشد قول ابن افلح

فلذا الموقف أعددنا البكا ولذا اليوم دموع تقتني

فاية عين تقر بهذه الحال لعمرى انها تبكى عليه دما والعقل ينكره انكارا ويحكم بأن هذا من أتعس الاحوال وان أسلافنا خير منا وأحسن سيرة وذلك انهم كانوا ذوى اخلاق فاضلة ومزايا لطيفة وعقائد سليمة وأحوال مستقيمة وهذه آثارهم تشهد بفضلهم وتنطق عما كانوا عليه

ومن الغريب انك لو نصحت أحدهم عنفك تعنيفا تكره معه الاخلاص وعيل الى التمويه بل يهزأ بك ويسخر منك قائلا (خدنى على جناحك وطير) وهلم جرا من الفاظ الاستخفاف ويقول (هذا وقت حرية ياعم) وفهموا أن معنى الحرية هو أن يفعل الانسان مايريد وان خالف الحق والدين ولم يدروا أن هذه حالة بهيميـة لاحرية وان معنى الحرية مجموع الفضائل الخلقية من حكمة وشجاعه وعفة وعدالة ومعاملة الناس بالمعروف والسلوك في سبيل الاخلاص

وترك الحسد والكبرياء والعجب والخيلاء والشر والتملق والنفاق والغدر والخلاف الى غير ذلك من امراض القلوب التى أوجبت الشريعة ازالتها ومحوها والتحلى بأضدادها وانا معاشر هذه الامة أحق الناس والله باعتناق الفضائل واطراح الرذائل وأحوجهم الى الجد والنشاط فى الاعمال النافعة لاوطاننا فعلينا أن نحب الارض التى نشأنا بها وربينا في نعمائها وتفيأنا بظلالها ومن علامات الرشد ان تكون النفس لوطنها تواقة ولمسقط رأسها مشتاقة وليس حب الانسان لوطنه لمجرد وجوده فيه ومعيشته به بل لوجود أهله وعشيرته به ونشأة اسلافه فى ارضه

فاما حبه له بالنسبة لوجود أهله فلانهم في الواقع أعضاء عائلة واحدة يتكون منهم أهل الوطن وأما حبه له بالنسبة لنشأة اسلافه فيه فلبقاء ذكرهم به ونشأتهم بأرضه وعيشهم في اكتافه وتجشمهم مصائب الحياة به وسقيهم لارضه بعرق جبينهم وذبهم عنه بأراقة دمائهم ووجود مقابرهم فيه فيجب علينا أن نحافظ عليه تمام المحافظة ولا نمكن الطارق من تمكنه

لانه لابقاء لنا بدونه

قال بعض الحكماء لولا حب الوطن لما عمرت البلاد الغير المخصبة وقال الاصمعى دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت له افدنى فقال اذا أردت أن تعرف وفاء الرجل وحسن عهده ومكارم اخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه لاوطانه وشوقه الى اخوانه

وبالجملة فحب الوطن على عظم الحسب وكرم الادب ابهى عنوان وهو فضيلة جليلة لايؤدى حق الوفاء بها الا من حاز الشمائل النبيلة ولا تعين عليها الا الهمم العلية والعزائم الملوكية التى تقلد أعناق الامة حلى النعمة فتبعثهم على التشبث بالاوطان والتعلق بأذيال الاخدان والخلان لاسيما اذا كان الوطن منبت العز والسعادة والفخار والمجادة كمصرنا فانها وطن شريف أصل المجد وأسباب الشرف في القديم والحديث كيف لا وهى جنة حسن شائقة المنظر نزهة السائح تكسو أرضهم بساطا سندسيا مطرزا بأنواع الازهار والرياحين وأغصان اشجارها مكللة بيانع الثمار

وبساط صحاريها وقفارها موشحا ببديع الحصباء ممايدهش البصائر ويروق الابصار ويشرح الصدور وينعش الاجسام ويشفي السقام ويبرىء العليل ويشفي الغليل وناهيك قوله تعالى (ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته) ترى الجو صافيا لايشوب صفاءه شيء من السحب الكثيفة والسماء مزينه بمصابيح الكواكب

كيف لا وبلدنا معشوقة السكني رحبة المثوي حصاؤها جوهر وترابها مسك أذفر كأن محاسن الدنيا بها مفروشة وصورة الجنة فيها منقوشة كيف لا وقد نبعت منها عيون علوم وانجلى بها من البلاد سحائب عيون فمن ذا يضاهي مصر في كمال الافتخار او يباريها في الجمال

انتهى

ALLAMA IQBAL LIBRARY
10299

JAMMU & KASHMIR UNIVERSITY
LIBRARY
No. 10299
Date 12-4-55
SRINAGAR

THE UNIVERSITY OF KASHMIR
ALLAMA
IQBAL LIBRARY
UNIVERSITY OF KASHMIR
HELP TO KEEP THIS BOOK
FRESH AND CLEAN